مجلـة البـاحث للـدراسات الأكـاديـمـية
ISSN: 2352-975X ELBAHITH for Academic Studies EISSN: 2588-2368
المجلد: 07 / العدد: 01 / السنة: 2020 / ص ص: 130 ـ 145

تفكك الاتحاد الأوروبي على ضوء نظريات الاندماج المؤسسة له

The Disintegration Of The European Union In The Light Of Its Founding Integration Theories

تاريخ الإرسال: 2019/10/26 تاريخ القبول: 2019/11/18

فطيمة لطرش(*)
المدرسة العليا للعلوم السياسية الجزائر
latfati@yahoo.fr

ملخص:

لقد ساهمت العديد من نظريات العلوم السياسية في تفسير إنشاء الاتحاد الأوروبي وبروزه ككيان مستقل وقوي على الساحة الدولية، هذا الكيان الذي بدأ بمجموعة من الاتفاقات الاقتصادية والتجارية انتهى ليصبح قوة إقليمية مندمجة تتكلم بصوت واحد، وتمضي الاتفاقيات الدولية ككيان واحد، ولديه ممثلية في كل بلدان العالم.

كما رافقت أهم المدارس في العلاقات الدولية هذا الكيان، وقامت بتفسير عملية الاندماج عند كل مرحلة تصل إليها عملية الاندماج. غير أنها بالمقابل حذرت من أن هذا الكيان إذا لم يصل إلى مرحلة الاندماج الكامل، أو لم يحترم شروط الاندماج حسب كل مدرسة قد يؤدي ذلك إلى انهيار هذا الكيان.

(*)- المؤلف المُراسل.

الكلمات المفتاحية: تفكك؛ الاتحاد الأوروبي؛ النظريات.

Abstract:

Many theories of political science have contributed to the establishment of the European Union and its emergence as an independent and powerful entity on the international stage. Countries of the world.

This entity, which began with a series of economic and trade agreements, became an integrated regional force, speaks with one voice and proceed in the international conventions as a single entity. She has also a representation in all countries of the world.

The most important schools in international relations accompanied this entity and explained the integration process at every stage of the integration process. However, it cautioned that if the entity does not reach full integration, or does not respect integration requirements, it could lead to its collapse.

Keywords: *Disintegration; European Union; Theories.*

مقدمة:

بالرغم من وجود العديد من النظريات التي تفسر عملية الاندماج الأوروبي، إلا أنه لا توجد نظرية واحدة تفسر عملية الاندماج الأوروبي والسلوك السياسي والاجتماعي له باعتبار أن عملية الاندماج لا تزال مستمرة إلى غاية يومنا هذا [1]، ولم ترق بعد إلى التكامل الفعلي. كما لا يوجد تعريف موحد للظاهرة التكاملية فكل مدرسة تعرف التكامل من زاوية من الزوايا حسب منظور كل مدرسة، دون إهمال الإختلاف في تحديد الفترة الزمنية لدراسة الظاهرة. لقد عجزت التيارات الفكرية المختلفة من الإلمام بجميع مكنات الظاهرة التكاملية السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية.

و كما لا يوجد تعريف موحد للظاهرة التكاملية، لا توجد دراسات معمقة حول ظاهرة تفكك الدول لاسيما الإتحاد الأوروبي، حيث يُعرّف هانس فولارد H.Vollaard [2] التفكك بأنه ليس فقط انسحاب الدول من الإتحاد الأوروبي، ولكنه كذلك يمكن أن يكون عملية انسحاب جزئي "partial withdrawals" ويظهر ذلك في شكل حجب الموارد أو الانسحاب من عملية صنع قرار معين وتقليل الالتزام بقانون الإتحاد الأوروبي، سواء من قبل حكومات الدول الأعضاء، أو الشركات، والأفراد، وسلطات الدولة الفرعية." [3].

ظهرت العديد من النظريات المؤسسة لفكرة الاندماج الأوروبي في إطار زمني معين كمفسرة لما وصل إليه الاتحاد الأوروبي من اندماج[4]، وقليلة هي النظريات التي تنبأت بإمكانية فشل هذا الاتحاد أو تفككه في يوم من الأيام، لاسيما مع التغيرات التي تشهدها أوروبا والعالم في الوقت الحالي. إن دراسة مختلف النظريات التي تفسر بناء هذا الكيان، تظهر أن هذه النظريات حذرت من إمكانية تفكك الاتحاد الأوروبي في حالة عدم توفر الشروط اللازمة للاندماج المدرجة في نظريات الاندماج المفسرة له، مما سبق ذكره،

هل تحمل نظريات التكامل والاندماج الدولي قدرة تفسيرية لظاهرة تفكك الاتحاد الأوروبي؟

الفرضية: بروز معطيات على الساحة الأوروبية لاسيما استلام مقاليد الحكم من قبل العديد من الأحزاب اليمينية الرافضة لفكرة الاندماج، وكذا تصويت

البريطانيين على الانسحاب من الاتحاد الأوروبي، جعل مدارس العلوم السياسية تتنبأ بإمكانية تفكك الاتحاد الأوروبي.

أهداف الدراسة: العديد من الأبحاث تركز على دراسة النظريات المفسرة لاندماج الاتحاد الأوروبي، غير أنه قليلة هي الأبحاث التي ركزت على إمكانية تفكك هذا الكيان، من هذا المنطلق، فإن هذه الدراسة تهدف إلى دراسة النظريات التي فسرت اندماج الاتحاد الأوروبي، وجعل فكرة إمكانية تفكك الاتحاد الأوروبي فكرة قابلة للدراسة.

المنهجية العامة: سوف تتم معالجة هذا الموضوع من خلال دراسة أبرز المدارس في العلوم السياسية التي عالجت مسألة اندماج الاتحاد الأوروبي وكيفية تفسيرها لهذا الإندماج والعوامل والظروف التي ساهمت في تعزيز فكرة التكامل الأوروبي، وإبراز العوامل والظروف التي يمكن أن تؤدي إلى تفكك هذا الكيان في المستقبل.

المحور الأول: المدرسة الواقعية

لطالما اعتبرت النظرية الواقعية أن الدولة هي الفاعل الوحيد في النظام الدولي، وانه لا توجد سلطة عليا تفوق سلطة الدولة.

أولا- تفسير النظرية الواقعية لإندماج الإتحاد الأوروبي:

من أبرز روادها "هانزمورغانتو "Hans Morgenthau الذي يعتبر أن فهم العلاقات الدولية يكون من خلال الطبيعة البشرية «تعتبر الواقعية السياسية أن الحياة السياسية مثلها مثل الحياة الاجتماعية عامة، تحكمها السنن الموضوعية التي تنبع من الطبيعة البشرية وأن السياسة الدولية كأية سياسة أخرى في صراع من أجل السلطة."، كما نجد في كتابه " السياسة بين الأمم «وجود ثلاثة نماذج توضح السلوك الدولي وهي:

1- المحافظة على الوضع القائم،

2- إعتماد سياسة توسعية،

3- العمل على الحصول على مكانة دولية.

إن هذه النظرية تعتبر أن القوة أهم ركيزة في العلاقات الدولية، فالدولة تسعى لتعزيز قوتها من أجل الحفاظ على وجودها وتحقيق أهدافها، وإلا فإنها ستتعرض للضغوطات وإكراهات من قبل الدول الأخرى، كما أنها تقر بأن المصلحة القومية

أهم عنصر في تحديد سياسة الدول فيما بينها. كما أنها لا تعترف بالمؤسسات فوق وطنية وتعتبر أن الدولة هي العنصر الوحيد في العلاقات الدولية. وقد فسرت النظرية الواقعية نشأة الاتحاد الأوروبي بأنه نتيجة للحرب الباردة وأن سهولة اندماج هذه الدول فيما بينها يعود بالأساس إلى قبول أحد القطبين (الولايات المتحدة الأمريكية) المسيطرين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية تسهيل اندماجه، حتى أن بعض الواقعيين قد تنبأ بزوال الاتحاد الأوروبي بعد نهاية الحرب الباردة لسببين هما[5]:

- نهاية الحرب الباردة ستزيد من اهتمام الدول الأوروبية بمصالحها كدول على حساب التكتل الأوروبي،

- إحجام دول الاتحاد الأوروبي على العمل معا في المجالات التي يتعين عليها التخلي عن سيادتها، لاسيما في المجالين السياسي والأمني مع مرونة في الجانب الإقتصادي تفرض عليها التخلي عن سيادتها لحساب سلطة أو مؤسسة فوق قومية (المفوضية الأوروبية).

<u>ثانيا- تفسير النظرية الواقعية لإمكانية تفكك الإتحاد الأوروبي:</u>

تنبأ جون ميرشيمر John J. Mearsheimer في مقالته لعام 1990 "العودة إلى المستقبل: عدم الاستقرار في أوروبا بعد الحرب الباردة"، بما يمكن أن يحدث إذا كانت الحرب الباردة قد انتهت تماما، استنادا إلى الاستدلال الواقعي الجديد، ورأى أن رحيل القوى العظمى سيسمح مرة أخرى بعدم استقرار أوروبا متعددة الأقطاب .

كما يرى أن الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي قد منعت الحروب الأوروبية من الاندلاع، فالولايات المتحدة الأمريكية ساهمت في اندماج أوروبا الغربية اقتصاديا بفضل إطار الأمن الأمريكي لمكافحة موازنة كتلة الإتحاد السوفياتي، غير أن نهاية الحرب الباردة ستجعل اختلال القوى في أوروبا أكثر احتمالا.[6]

بالإضافة إلى هذا، فإن الواقعية في جوهرها تعتمد على مجموعة واضحة من الأفكار، كما يوحي الاسم، فهي تحاول شرح السياسة العالمية كما هي بالفعل، بدلاً من وصف كيف يجب أن تكون. فبالنسبة للواقعيين، تشكل السلطة محور

EISSN: 2588-2368——————————ISSN: 2352-975X

الحياة السياسية: على الرغم من أن هناك عوامل أخرى تلعب أحيانًا دورًا، فإن مفتاح فهم السياسة يكمن في التركيز على من يملك السلطة وماذا يفعلون بها(7).

ولهذا، فإن بروز التيارات القومية واليمين المتطرف في العديد من الدول الأوروبية، ووصول هذه الأحزاب إلى السلطة عن طريق حشد المواطنين بخطابات شعبوية خلق جو من عدم الثقة بين الحكومات الأوروبية وهو ما قد يؤثر على استمرار التعاون الأوروبي، وأهم الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا هي:

1-حزب الشعب الدانماركي: وهو يعتبر حزبا متطرفا، معارض للمهاجرين، فاز في الانتخابات البرلمانية الدانماركية في جوان 2015 بـ 37 مقعد من أصل 179. وفاز بـ 04 مقاعد في الانتخابات البرلمانية الأوروبية لسنة 2014 من أصل 13 مقعد مخصص للدانمارك.

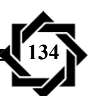
2-حزب الجبهة الوطنية الفرنسي: هو حزب ينتمي إلى الأحزاب اليمينية المتطرفة معادي للهجرة والإتحاد الأوروبي، حصل سنة 2014 على 23 مقعدا في البرلمان الأوروبي، من أصل 74 مقعد مخصص لفرنسا.

3-حزب الفجر الذهبي اليوناني: هو حزب ذو ميول فاشية يمجد الإمبراطورية اليونانية ومعادي شرس للمهاجرين حاز سنة 2014 على 3 مقاعد في البرلمان الأوروبي من أصل 21 مقعد مخصص لليونان.

4-حزب سيريزا اليوناني: حزب ينتمي إلى اليسار المتشدد، يعارض الإتحاد الأوروبي ويعارض إجراءات التقشف ضد بلاده.

5-حزب الحرية الهولندي: حزب ينتمي إلى اليمين المتشدد، يعادي الإتحاد الأوروبي والمهاجرين، يتزعمه غيرت فيلدرز Geert Wilders، حصل هذا الحزب سنة 2014 على 04 مقاعد في البرلمان الأوروبي الحالي من أصل 26 مقعدًا مخصص لهولندا.

6- حزب الحرية النمساوي: حزب يميني متطرف معادي للاتحاد الأوروبي والعملة الأوروبية الموحدة والمهاجرين تحصل على 4 مقاعد في البرلمان الأوروبي سنة 2014 من أصل 18 مقعد مخصص للنمسا.



EISSN: 2588-2368 ———— ISSN: 2352-975X

7- حزب بوديموس الإسباني: حزب ينتمي إلى اليسار، يعارض إجراءات التقشف المفروضة من قبل الاتحاد الأوروبي، تحصل على 8 بالمئة من الأصواتفي الانتخابات الأوروبية لسنة 2014.

8- الحزب الديمقراطي السويدي: حزب معارض للمهاجرين، ولسياسات الإتحاد الأوروبي، تحصل على مقعدين في الانتخابات البرلمانية الأوروبية لسنة 2014 من أصل 20 مقعد مخصص للسويد.

9- حزب الاستقلال البريطاني: حزب يعارض تواجد بلاده في الاتحاد الأوروبي ويدعو لانسحابها منه، معارض للهجرة حصل على 22 مقعد في البرلمان الأوروبي سنة 2014 من أصل 73 مقعد مخصص لبريطانيا.

10- الحزب القومي الديمقراطي الألماني: حزب قومي يمجد النازية، ومعاداة الأقليات، حصل على مقعد واحد في البرلمان الأوروبي.

بالإضافة إلى أحزاب أخرى مثل حزب البديل من أجل ألمانيا، حزب رابطة الشمال بإيطاليا، حركة يوبيك وحزب فيدس المجريين، حزب أتاكا البلغاري وحزب القانون والعدالة اليميني البولندي.

المحور الثاني: النظريات الاتحادية

تفسر هذه النظرية الاندماج بقرار الدولة في حد ذاتها، فهو قرار سياسي بالدرجة الأولى، تقر الدولة بما يتناسب ومصلحتها القومية التنازل عن كل أو جزء من سيادتها لفائدة كيان آخر للاستفادة من مزايا الاندماج والتقليل من الخسائر قدر الإمكان، فتقوم على هذا الأساس بالاندماج بروابط دستورية بين دولتين أو أكثر بحيث يصبح من المستبعد جدا الدخول في حروب أو نزاعات ويحل الأمن بدلا من ذلك [(8)].

أولا- تفسير النظرية الإتحادية لإندماج الإتحاد الأوروبي:

لقد اختلفت النظريات الاتحادية فيما يخص طبيعة الاندماج غير أن أبرزها هي إنشاء دولة فيدرالية أو كونفدرالية بحسب رغبة الدول ففي الدولة الفيدرالية يكون هناك اندماج شبه كامل للدول داخلها، فيكون حكومة واحدة وجيش واحد وسياسة خارجية واحدة، أما الدولة الكونفدرالية فتحتفظ الدول بسيادتها ويكون هناك تكامل في بعض القضايا السياسية والاقتصادية والاستراتيجية. وتعرف الدولة

EISSN: 2588-2368——ISSN: 2352-975X

الاتحادية بأنها (الاتحاد الطوعي بين دول أو دويلات أو أقوام تختلف قوميا أو عرقيا أو ديانة أو لغة أو ثقافة حين يصبح كيان واحد أو نظام سياسي واحد، مع احتفاظ هذه الأجزاء المكونة للكيان بخصوصيتها وهويتها وتفويض الكيان المركزي بالبعض من الصلاحيات المشتركة، مع الاحتفاظ ببعض الصلاحيات لهذه الأجزاء(9)؛ وتعرف كذلك بأنها (تلك الدولة التي تتكون من عدة دويلات أو ولايات لكل منها قسط من السيادة الداخلية أي إنها تنفرد بالتصرف في شؤون الحكم الداخلي في أمور معينة في حين تختص الحكومة المركزية بالتصرف في الشؤون الداخلية الأخرى وذلك فضلا عن شؤون الخارجية والدفاع(10).

أما وليام ريكار "William Ricker" في كتابه المنشور سنة 1966 تحت عنوان الفيدرالية الأصول والمراحل، اعتبر أن الفدرالية هي الحل لأي مشكل يواجه توسيع الحكومات بغية الوصول إلى تمثيل أفضل، فهي صفقة مربحة للمركز والإقليم وتتمثل في(11):

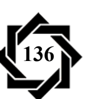
- رغبة السلطة السياسية على مستوى المركز في بسط سلطتها على أقاليم أوسع بطرق سلمية، وغالبا، يلجؤون إلى خيارهم هذا تحت ذريعة التهديدات الخارجية سواء كانت عسكرية أو سياسية؛

- الولايات أو الأقاليم أو الدويلات المشكلة لاتحاد فيدرالي، فإنهم يتمتعون باستقلالية تامة في إدارة شؤونهم، مع التمتع بالدفاع المشترك والحماية العسكرية والدعم المالي والسياسي من المركز.

ومع مرور الوقت، فإن النظام الاتحادي سيزداد أكثر انسجاما بالاعتماد على مركزية الضرائب، وضمان الاستقلال الذاتي الجزئي للوحدات المكونة له، والولاء الاتحادي المتنامي للمواطنين الأفراد، ووحدة الأحزاب السياسية.

ثانيا- تفسير النظرية الاتحادية لإمكانية تفكك الاتحاد الأوروبي:

إن هذه الظروف من الصعب تحقيقها جميعا في الاتحاد الأوروبي، لاسيما فيما يتعلق بالدفاع المشترك والسياسة الأمنية المشتركة والسياسة الخارجية، فالاتحاد الأوروبي لم يستطع لحد الآن الاتفاق في هذه الميادين، بالإضافة إلى النقطة المتعلقة بالولاء الاتحادي للمواطنين، حيث أن النزعة القومية داخل الاتحاد الأوروبي بدأت تأخذ أبعاد



EISSN: 2588-2368————————————ISSN: 2352-975X

مقلقة مع وصول اليمين المتطرف إلى مراكز القرار داخل الاتحاد الأوروبي لاسيما البرلمان الأوروبي. وهو ما يجعل تفكك الاتحاد الأوروبي أكثر ترجيحا. وقد تنبأت هذه النظرية إلى تفكك دول الاتحاد الأوروبي إلى دول قومية، غير أنه مع بروز بعد المطالب الانفصالية في اسبانيا وبريطانيا وبلجيكا يمكن أن يتجاوز التفكك الدول إلى الأقاليم.

إن الاتحاد الأوروبي يعتبر هيكل فيدرالي لوجود مجموعة من الخصائص، هو كيان لديه برلمان يتمتع بسلطة تشريعية ينتخبه المواطنون، ومفوضية أوروبية تلعب دور الحكومة، ومع ذلك فإن الاتحاد الأوروبي لايزال يحتاج إلى الشرعية الديمقراطية لجميع مؤسساته، بالرغم من وجود السيادة الأولية، والقدرة على رفع الضرائب في تمويل اختصاصاته، والقدرة على العمل بفعالية في المجال الدولي، غير أن مشكل السيادة لايزال قائما، بحيث هناك العديد من البلدان الأوروبية تتمسك بسيادتها بالإضافة إلى تبني قاعدة الإجماع في العديد من المجالات مثل السياسات المالية والاجتماعية، والكفاءة الحصرية للمجلس في الشؤون الخارجية والدفاع تطرح مسألة وجود اتحاد حقيقي.[12]

<u>المحور الثالث: الوظيفية والوظيفية الجديدة</u>

تعتبر الوظيفية والوظيفية الجديدة من أهم النظريات المفسرة لقيام الاتحاد الأوروبي، وتحتل مكانة هامة في الدراسات الدولية.

<u>أولا- تفسير الوظيفية والوظيفية الجديدة لاندماج الاتحاد الأوروبي:</u>

جاءت هذه النظرية إبان الحرب العالمية الثانية، ومن روادها، البريطاني دافيد ماتيراني، وهي تدعوا إلى ربط المجتمعات مع بعضها بواسطة التعاون والتبادل الإقتصادي والاجتماعي والثقافي[13] حتى يتم تجاوز فكرة الدولة والانتقال إلى مرحلة أعلى، فبالنسبة إليه، وحتى يتم تجاوز فكرة إستعمال القوة في النزاعات الدولية، يجب الانتقال مما هو وطني إلى ما هو فوق وطني، ويعتبر أن مصالح الجماهير هي التي تسمح بإقامة مجتمع دولي بعيد عن العنف وليس الأشكال التنظيمية الفوقية كما تشير إليه المدرسة الاتحادية.

وبالرغم من اعتبارها واحدة من أهم النظريات التي تعالج التكامل الأوروبي، فهي تنظر أساسا في الترابط المتزايد عبر التراب الوطني والهيئات فوق الوطنية (الوظيفية) كقوى دافعة للتكامل.

أما الوظيفية الجديدة، فقد ظهرت في الخمسينيات حيث جاءت بمفهوم جديد للتكامل، فهي بعكس الوظيفية التي تدعو إلى تكامل كوني أو الاتحادية التي تدعو إلى اندماج سياسي تدعو إلى تكامل إقليمي بفعل تأثرها بتجربة السوق الأوربية المشتركة الأوروبية.

يرى أصحاب الوظيفية الجديدة أن من أهم الشروط الأولية للاندماج الدولي هو التجانس الإقتصادي والاجتماعي بين الدول المعينة، بمعنى آخر أن توفر عامل التعددية السياسية والاقتصادية في أوربا الغربية يشكل العامل الأكثر أهمية بالنسبة للتكامل الجهوي في هذه المنطقة .

تتهج الوظيفية الجديدة منطلق التطور المرحلي في الاندماج فالبداية تكون في المجال الإقتصادي والتي سيتبعها آليا اندماج في مجالات أكثر وأوسع في الانتشار "Spill over" هو محرك عملية الاندماج.

تأثر أنصار الوظيفية الجديدة بتطور الجماعة الأوروبية، بفضل عملية «انتشار» من الجماعة الأوروبية للفحم والصلب النواة الأولى لتجسيد فكرة الاندماج-التي كان نطاقها مقتصرا على قطاعين صناعيين فقط- إلى الإتحاد الأوروبي، فقد اجتذبت الجماعة الأوروبية للفحم والصلب بنجاحها، جماعات أصحاب المصالح والأحزاب السياسية وألهمتهم في التعامل بنفس الشاكلة في ميادين أخرى وكل ذلك بقيادة كيان فوق وطني (المفوضية الأوروبية)، والتي نجحت في توسيع اختصاص الجماعة حتى توفر في نهاية المطاف صورة من الحوكمة الأوروبية لنطاق واسع من شؤون الدول الأعضاء. ويعطينا هذا تفسيرا جزئياً-على الأقل لبعض الخطوات التي خطتها الجماعة في تطورها، بما في ذلك الانتقال من السوق الموحدة إلى العملة الموحدة[14]

EISSN: 2588-2368————ISSN: 2352-975X

ثانيا- تفسير الوظيفية والوظيفية الجديدة لإمكانية تفكك الاتحاد الأوروبي

لقد مر الاتحاد الأوروبي خلال فترة حكم ديغول بمرحلة من التفكك(15)، وقد تم تفسيرها من قبل الوظيفيون، بعدم وجود "نظرية التكامل تكفي بما يكفي لمراعاة هذه الظواهر التفكيكية حيث أشار من بينها إلى:

1- الافتقار إلى الولاء الأوروبي بين الجمهور،

2- عدم الرضا عن ناتج الاتحاد الأوروبي، كأسباب محتملة للتفكك،

3- عدم وجود التزام أيديولوجي للحفاظ على الاتصالات المعاملات.

إن هذه الأسباب قد تكون لها آثار تفكيكية محتملة، فبناء الاتحاد الأوروبي يقوم على أساس بيروقراطي وفقا لطبيعة أخذ القرار فيه، وهو ما يصعب بناء الهوية الأوروبية التي تحافظ على اندماجه.

بالإضافة إلى أن الوظيفية الجديدة تشير صراحة إلى إمكانية الصراع في عمليات التكامل واحتمال حدوث تفكك، وذلك بالانسحاب من مجموعة من الالتزامات المحددة، فقد يحدث الانتكاس عندما لا تعود الدول الأعضاء قادرة على التعامل مع قضية سياسية معينة على المستوى الأوروبي بسبب تغير أو تقلص الاهتمام في بعض قضايا السياسة العامة، تحالفات المصالح السابقة بين الدول الأعضاء تقوض الصفقات والالتزامات التي تستند إليها القواعد الأوروبية. ولذلك، فإن أهمية الدول الأعضاء للمطالبة بالحلول من النظام السياسي الأوروبي أمر بالغ الأهمية لاستدامة التكامل الأوروبي. كما أن هذه النظرية أعطت أهمية كبيرة للنخب وقدرتها على تحقيق التكامل على حساب دور المشاركة الشعبية في عملية التكامل، بالإضافة إلى عدم تفسيرها لعدم قدرة الاتحاد الأوروبي للوصول إلى التكامل السياسي(16).

المحور الرابع: النظرية الاتصالية

لقد ساهمت النظرية الإتصالية بنفسير ظاهرة الإندماج واستخدمت هذه النظرية لتفسير الظاهرة التكاملية الأوروبية.

أولا- نفسير النظرية الإتصالية لإندماج الإتحاد الأوروبي:

يرى كارل دويتش karl deutsch أن الاندماج يقوم على فكرة الاتصال بين الوحدات الدولية المختلفة كأساس لقيام الاندماج، والذي يؤدي إلى إحلال الأمن

EISSN: 2588-2368————ISSN: 2352-975X

كنتيجة لهذا التكامل الذي يتميز باللاحرب. فالأمن " هو الحالة الأساسية التي يمكن في ظلها التمتع بمعظم القيم الأخرى"[17]، كما أعطاه مضامين أخرى مثل تأمين الثروة والملكية والمؤسسات والرموز والمراكز الطبقية والعادات والأيديولوجية والثقافة واحترام الذات وغيرها من القيم التي تبدو جديرة بالدفاع عنها بالنسبة لمعظم الناس. وحيث أن الدول قد أظهرت عدم كفايتها لحماية هذه القيم، فإن الناس يلقون آمالهم على المنظمات الدولية لحماية هذه القيم.

وعليه، فإن أساس هذه النظرية هو تعدد الاتصالات وأهميتها كوسيلة لتعميق شعور جماعة بأهمية جماعة أخرى، إذا ما توافر الاستعداد للاستجابة التبادلية بينهما.

فالاندماج يؤدي إلى توفير مؤسسات وأدوات تنقلهم سلميا إلى مجتمع آمن، والذي حسب كارل دويتش يأخذ أحد شكلي[18]

1- المجتمع الموحد: الذي تندمج بموجبه الوحدات الأعضاء في كيان أكبر.

2- **المجتمع التعددي:** الذي تحتفظ فيه الحكومات باستقلالها القانوني ولكنها تنشئ مؤسسات لبعض أوجه التعاون. فالعبرة حسب "Deutsch" ليست في الأطر المؤسسية، بل في الإحساس بالانتماء إلى جماعة واحدة أي أنه من دون توافر مجموعة مشتركة من القيم والمعايير والإحساس بالانتماء يكون من الصعب إضفاء شرعية على مؤسسات التكامل .

خلص دويتش إلى القول بأن التكامل ينهض بأربع مهام رئيسة وهي:

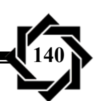
حفظ السلام، التوصل إلى إمكانيات كبيرة متعددة الأغراض، إنجاز بعض المهام المحددة، تحقيق الذات ودور الشخصية بصورة أكثر جدية.

أما شروط قيام مجتمع متكامل فهي حسب دويتش:

أهمية الوحدات إحداها للأخرى، اتفاق القيم وتشابه بعض أنواع الثواب الموجودة فعلاً، التجاوب المتبادل، ويقصد به وجود قدرات وموارد هامة تتعلق بالاتصال والإدراك وتوجيه الذات ووجود درجة معينة من التطابق أو الولاء المشترك.

ثانيا- تفسير النظرية الاتصالية لإمكانية تفكك الاتحاد الأوروبي:

يؤكد كارل دويتش من خلال هذه النظرية على أهمية المعاملات والاتصالات الاجتماعية لإنشاء مجتمعات سياسية دولية، ومدى توافق القيم، والاشتراك في الهوية



EISSN: 2588-2368———————ISSN: 2352-975X

والولاء، وهذا بالاستناد إلى ملاحظاته عند دراسته للكثير من حالات الاندماج، مثل المملكة المتحدة، والاتحاد الأنجلو-إيرلندي، والولايات المتحدة الأمريكية. وفقدان هذا الاهتمام والتضامن والثقة بين الطرفين أو قيام اتحاد بشكل سريع أولا يراعي الظروف الملائمة للاندماج، يؤدي إلى أن الكيان سيحمل بذرة عجزه أو دماره.

بالإضافة إلى أن هذه النظرية لا تفسر كيفية تشكل هذا الكيان فنفس الظروف موجودة في دول أخرى ولم ترق إلى إنشاء كيان مماثل، وحتى قدرة الاتحاد الأوروبي على التكامل الإقتصادي والذي أمكن تحقيقه بواسطة مؤسسات فوق وطنية بوضع آليات للسوق الأوروبية المشتركة وحرية تنقل الأشخاص، وبالتالي الضغط على الدول لاندماج أكبر، لا يمكن وضع نظام مماثل فوق وطني لتغيير الولاءات والهويات.

<u>المحور الخامس: النظرية الجماعاتية Communautarisme</u>

تعود أصول النظرية الجماعاتية إلى منظري الفكر الإشتراكي، وظهرت كمدرسة فكرية خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين منتقدة النظرية الليبرالية التي تركز على الفرد والحريات الفردية، وهي تركز على حقوق الجماعة واحتياجاتها[19]

<u>أولا- تفسير النظرية الجماعاتية لإندماج الإتحاد الأوروبي:</u>

يعرف اميتاي اتزيوني "Amitai Etzioni" المجتمع السياسي المتكامل بأنه مجتمع يضم نخبة سياسية تملك اليات العنف والإكراه الشرعي (جيش وشرطة)، وهي الكيان المقرر داخل المجتمع، يرسم الهوية السياسية للشعب وتذوب من خلاله كل الفوارق السياسية الموجودة بين الوحدات المختلفة لتحقيق توحيد سياسي[20]

حسب هذه النظرية ولنجاح أي اندماج سياسي يجب[21]:

1- السيطرة الشرعية على وسائل العنف على المستوى فوق الوطني، متفوقا على الوحدات الأعضاء،

2- وحدات الأعضاء ينبغي أن تستفيد من تخصيص الموارد فوق الوطنية،

3- الولاءات السياسية تجاه السلطات فوق الوطنية يجب أن تتجاوز الوطنية على الأقل في حالات الصراع. ووفقا لأميتاي لاتزيوني[22]، وهو أحد رواد هذه النظرية، فإن أي وحدة سياسية يجب أن تمر بالمراحل التالية[23]:

EISSN: 2588-2368 ———— ISSN: 2352-975X

4- مرحلة ما قبل الوحدة: ومن شروط هذه المرحلة وجود اعتماد متبادل بين الدول في بعض القطاعات،

5- عملية التوحيد من خلال القوة الفاعلة فيها: وفي هذه المرحلة يظهر دور النخب جليا في تفعيل الاتحاد من خلال بروز ناصر التوحيد سواء بإستعمال القوى القسرية (الجيش، الشرطة) أو النفعية (اقتصادية، فنية، إدارية).

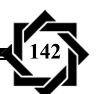
6- عملية التوحد في القطاعات: مع تزايد تدفق السلع والخدمات والاتصالات بين الوحدات، ينتقل التكامل إلى قطاعات أخرى.

7- نضوج عملية التوحد: وفي هذه المرحلة ينتشر الاندماج إلى جميع القطاعات ليصل لمرحلة التكامل التام.

<u>ثانيا- تفسير النظرية الجماعاتية لإمكانية تفكك الإتحاد الأوروبي:</u>

يرى اميتاي اتزيوني أن الإتحاد الأوروبي اندمج في إتحاد مالي وفقط، مع غياب اتحاد سياسي، وأن فكرة بناء مجتمع ما بعد وطني محدودة للغاية. فبالنسبة إليه هناك عجز مجتمعي مع عدم توفر التقاسم الكافي للقيم، ووجود البيروقراطية داخل هياكل الإتحاد الأوروبي وغياب الرغبة السياسية القوية في التكامل الحقيقي والتي حسب رأيه تستلزم تضحيات من أجل الصالح العام. بالإضافة إلى ضرورة اتخاذ التدابير الضرورية لبناء مجتمع أوروبي حقيقي متجانس في المجالات المعيارية intensive areas normative مثل التعليم واللغة. والتي هي غائبة في برامج الإتحاد الأروبي، وهي بالضبط المناطق التي يغيب فيها بناء المجتمع. وبالتالي، من المحتمل إلى أن الإتحاد الأوروبي سيتقلص حجمه كدولة إدارية، بدلاً من مستويات تكامل أعلى من أي وقت مضى[(24)].

وحسب أميتاي اتزيوني، فإن اتحادا كاملا فقط سيفي بهذه الشروط المسبقة وإلا، فإن السلطات فوق الوطنية ستكون غير مستقرة في إشارة منه إلى الاتحاد الأوروبي. وبالنظر إلى أن هذه الشروط غير محققة بالنسبة للاتحاد الأوروبي، فإن أي تكامل سوف يكون تكاملا غير مستقر[(25)]. كما انتقد توسعة الاتحاد الأوروبي، لأنه سيغذي زيادة عدم التجانس الاجتماعي بين الشعوب الأوروبية ويجعل المواطنين يحنون لمكانهم الوطني.



EISSN: 2588-2368 ———— ISSN: 2352-975X

خاتمـة:

بالرغم من أن تجربة الاندماج الأوروبي تمكنت من الصمود منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بفضل الرغبة السياسية ومسيرة التدرج في التكامل، التي اعتمدتها في مسيرتها وتشجيع النظريات التي تنحاز أيديولوجيا للسياسة الاندماج التي اتبعتها، إلا أن نفس هذه النظريات وفي معرض تفسيرها للاندماج تنبأت من إمكانية تفكك الاتحاد الأوروبي، غير أن نقاط التباين لم تحظ معالجتها بنفس قدر معالجة أفكار الاندماج والتكامل.

ومنذ تصويت البريطانيين من الانسحاب من الاتحاد الأوروبي، وعودة اليمين المتطرف إلى مراكز السلطة في العديد من دول الاتحاد الأوروبي، وحتى داخل البرلمان الأوروبي، والمؤيدة لانسحاب دولهم من الاتحاد الأوروبي باعتباره كيان بيروقراطي، يستنزف أموال الدول الأوروبية وينقص من سيادتها. فقد أصبحت فكرة إمكانية تفكك الاتحاد الأوروبي، **أمر** مقبول وقابل للدراسة.

إن تفكك الاتحاد الأوروبي سوف تكون له تداعيات خطيرة على أوروبا والعالم، لاسيما في العديد من المجالات السياسية والاقتصادية. إن تفكك الاتحاد الأوروبي سيجعل أوروبا تنقسم إلى دول أو حتى أقاليم وهو ما سيؤدي إلى عودة الحروب في أوروبا، بالإضافة إلى أن تفككه سيؤدي إعادة صياغة الاتفاقيات التجارية بين أوروبا ودول العالم وهو ما سيؤثر على التجارة العالمية، ويضعف أوروبا على الصعيد العالمي. وعليه، وجب إعطاء أهمية كبيرة للدراسات المتعلقة بإمكانية تفكك الاتحاد الأوروبي والنتائج المترتبة عنه.

الهوامش والمراجع:

(1)- Amelia Hadfield: Scientific Realism, the EU, and EU Integration Theories, Department of Politics and International Relations, University of Kent. http://hamdoucheriad.yolasite.com, seen on 31/03/2019, 18: 00 AM

(2)- هانز فولارد محاضر في السياسة الهولندية والسياسة الأوروبية بجامعة أوتريخت بهولندا. وقد نشر سنة 2018 كتابا حول التفكك الأوروبي، ودراسات حول سياسة هولندا في الاتحاد الأوروبي، والتنظيم الأوروبي للرعاية الصحية عبر الحدود، والديمقراطية المحلية

(3)- Vollaard, H. (2018) European Disintegration: A search for explanations, Palgrave Macmillan, page vi.

(4)-Amelia Hadfield: Scientific Realism, the EU, and EU Integration Theories, Department of Politics and International Relations, op.cit.

(5)- Morten Kelstrup and Michael Williams: International Relations Theory and the Politics of European Integration: Power, Security and Community, Routledge, 2006, P40.

(6)- عبد العزيز الخليلي: رسالة ماجستير "النظرية الواقعية وتفسير نظام أحادي القطبية"، جامعة بير زيت، فلسطين، 2018.

(7)- STEPHEN M. WALT,The World Wants You to Think Like a Realist, | MAY 30, 2018, https://foreignpolicy.com, seen on october 1st, 1: 35 PM.

(8)- حسين بوقارة: التكامل في العلاقات الدولية، سلسلة دراسات دولية، الجزائر: مخبر البحوث والدراسات في العلاقات الدولية، جامعة الجزائر، العدد 3، 2008، ص 4.

(9)- الأستاذ زهير كاظم عبود، النقاط المهمة في الدستور العراقي القادم،
شوهد يوم 12 جويلية 2019، www.brob.org/hadatha/destor9-htmk16.30

(10)- عبد الحميد متولي، القانون الدستوري والنظم السياسية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1970، ص18.

(11)- Soren Desonrode: “Federalism theory and neo- functionalism perspectives on federalism”: vol.2, issue 3, 2010, p.10.

(12)- Is a Federal Europe Possible ?- The New Federalist, www.thenewfederalist.eu, seen on 02nd january2019, 13: 00 AM.

(13)- عامر مصباح: الاتجاهات النظرية في تحليل العلاقات الدولية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2006، ص. 320.

(14)- جون بيندر وسايمون اشرود: ترجمة خالد غريب علي، الاتحاد الأوروبي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2015، ص. 16.

(15)- كانت لدى ديغول نظرة مختلفة لفكرة التكامل الأوروبي، فبالرغم من أن معاهدة روما الخاصة بإنشاء الجماعة الاقتصادية الأوروبية تنص على أن: "أي دولة أوروبية قد تطلب أن تصبح عضوا في الجماعة" إلا أنه رفض طلب تقدمت به بريطانيا للانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة عام 1961، كما أفشل طلبا ثانيا تم التقدم به عام 1967 بسبب التوجهات الأطلسية لبريطانيا وتحبيذها الولايات المتحدة الأمريكية على أوروبا، ولم يقبل طلب انتساب بريطانيا إلا بعد استقالة ديغول عام 1969.

(16)- السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي في نظريات العلاقات الدولية- حالة تطبيقية: -مجلة المفكر- العدد التاسع، الجزائر، 2013، ص.53.

(17)- ناظم عبد الواحد جاسور: موسوعة علم السياسة، دار المجدلاوي للنشر، عمان2009، ص.90.
براهيم العيسوي وآخرون، الاعتماد المتبادل والتكامل الاقتصادي والواقع العربي – مقاربات نظرية–، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1990، ص.227.

(18)- براهيم العيسوي وآخرون: الاعتماد المتبادل والتكامل الاقتصادي والواقع العربي- مقاربات نظرية-، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1990، ص.227.

EISSN: 2588-2368————————————ISSN: 2352-975X

[19]- مـراد ديـاني: حريـة-مسـاواة-انـدماج اجتمـاعي، المركـز العربـي للأبحـاث والدراسـات السياسـية، بيروت، 2014، ص 89.

[20]- DOUGHERTY, James E. & Robert L. PFALTZGRAFF, Contending Theories of International Relations, op.cit., PP. 441-442.

[21]- ايمان بومزبر، وردة رزاق: النظرية الوظيفية الجديدة، www.politics-dz.com، شوهد يوم 05 فيفري 2019، 08: 30.

[22]- وُلِد باسم Werner Falk: في 4 يناير 1929، كولونيا، ألمانيا (هو عالم اجتماع ألماني-إسرائيلي-أمريكي)، يدرس أميتاي اتزيوني موضوع البساطة الإرادية- الاستراتيجية الحية من ناحية أهميتها السوسيولوجية كعامل موازنة ممكن للمجتمع الرأسمالي السائد. وقد اهتم اتزيوني بوصف هذه الفكرة وإبراز مظاهرها المختلفة وعلاقتها بالتنافس. وكان لـ اتزيوني السبق في دراسة التوازن الدقيق الذي ينبغي أن تحافظ عليه كل الأنظمة الاجتماعية بين العوامل الاقتصادية والسلوك الاجتماعي. ويركز على التوجه المتميز نحو البساطة الإرادية كرد فعل على تزايد التنافس، والنزعة الاستهلاكية المفرطة، وانهيار القيم والمعايير التقليدية. www. marefa.org

[23]- ايمان بومزبر، وردة رزاق: مرجع سابق.

[24]- Etzioni, Amitai, The Communitarian Deficit (April 2013). Amitai Etzioni (2013): THE EU, European Societies, DOI: 10.1080/14616696.2013.787436. Available at SSRN: https://ssrn.com/abstract=2274213.

[25]- ايمان بومزبر، وردة رزاق: مرجع سابق.

EISSN: 2588-2368——————————ISSN: 2352-975X